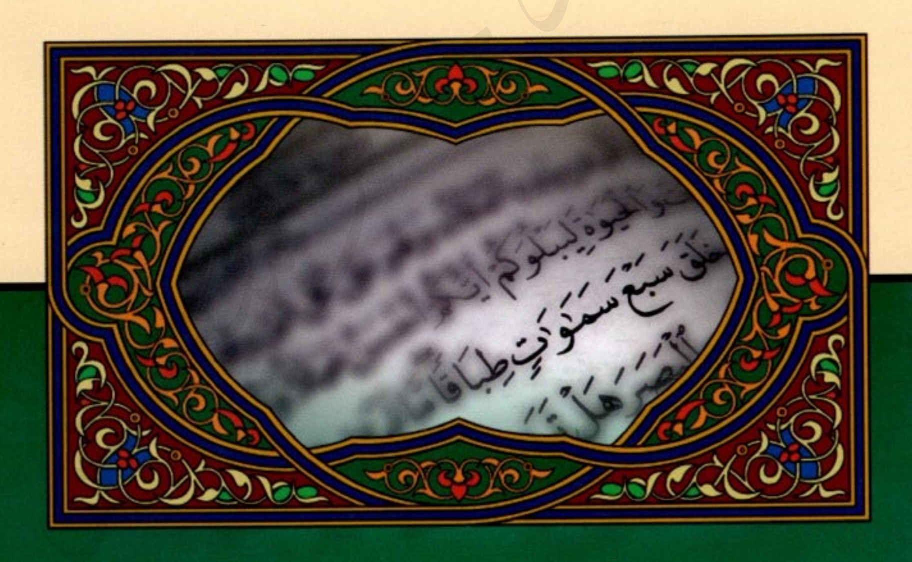
نقد

التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم

نماذج وتطبيقات



الدكتور أحمد محمد الفاضل

دار نور الصباح

نقد
التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم
نماذج وتطبيقات



الكتاب: نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم «نماذج وتطبيقات»
المؤلف: الدكتور أحمد محمد الفاضل
الناشر: دار نور الصباح
عدد الصفحات: ٥٨
سنة الطباعة: ٢٠١٢م
بلد الطباعة: سوريا
الطبعة: الأولى

نور الصباح - دمشق - الحلبوني - الجادة الرئيسية
هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٢٤١٧٣٧

Title: Naqd Ttafsir Al'lmi wa L'adadi Li lqur'an Lkarim
Autor: Ahmad Mohammad Al fadel
Publisher: Nursabah
Pages: 58
Year: 2012
Printed in: Syria
Edition: 1

يطلب في تركيا من
NURSABAH YAYINCILIK
DAĞITIM KAĞITÇILIK SANAYİ
TİCARET LİMİTED ŞİRKETİ
1.Cadde No: 64 MİDYAT/MARDİN/ TURKEY
TEL: (+90482) 4622775-4622774

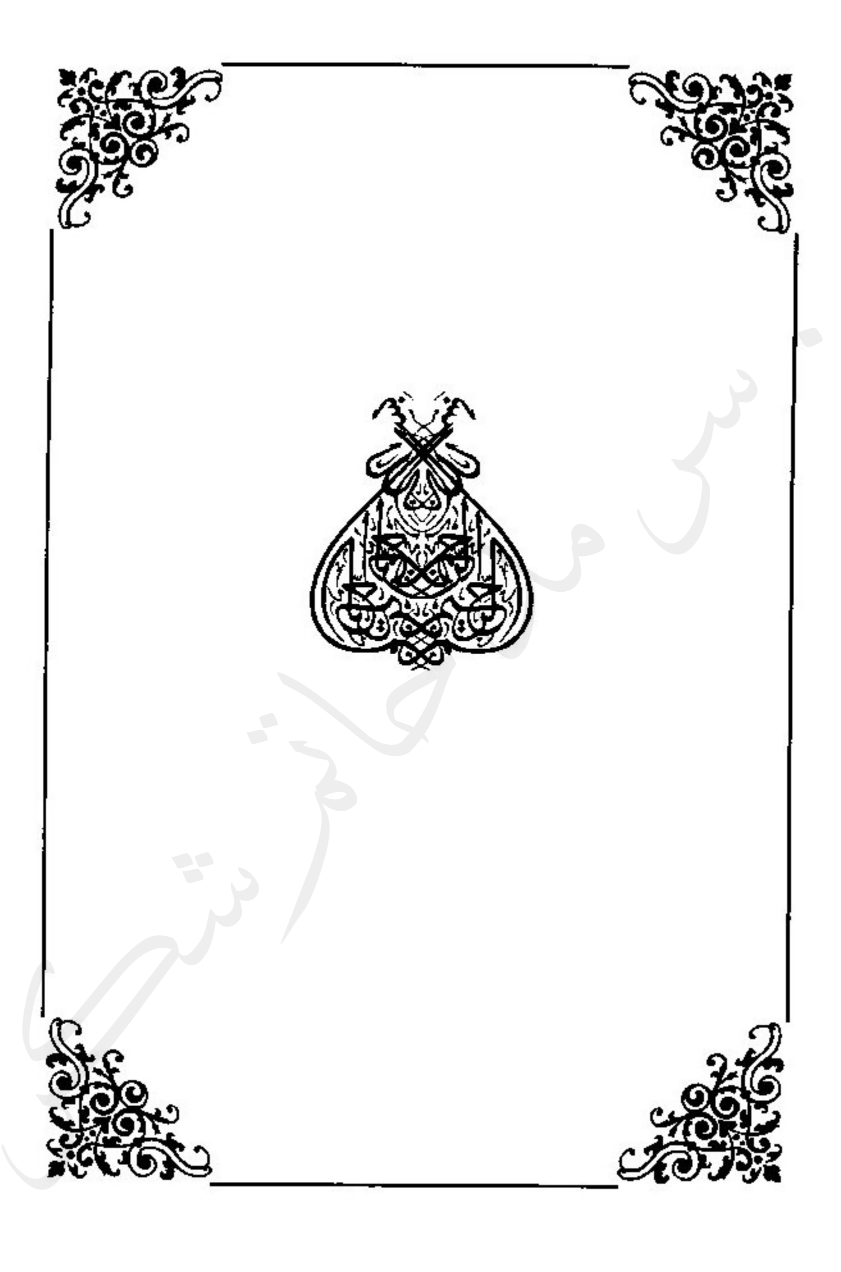
Website: www.nourssabah.com
E-mail: info@nourssabah.com

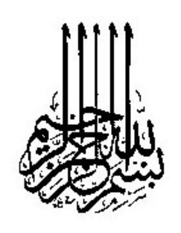


نَقْدُ
التَّفسيرِ العِلميِّ والعَدَدِيِّ المُعاصِر
لِلقُرآنِ الكَرِيمِ
نَماذِج وتَطبِيقَات

الدكتور أحمد محمد الفاضل







المقدمة

حمداً لله أن منَّ علينا بالقرآن ، فجعل فيه شرفنا وعزنا ما تمسكنا بهديه ، وسرنا على نهجه ، فقال تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

ونصبه الله تعالىٰ دليلاً لائحاً علىٰ صدق مَنْ أُنزل عليه فقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وتعهد سبحانه وتعالىٰ بحفظه وصيانته عن التبديل والتحريف فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وصلاةً وسلاماً دائماً سرمداً علىٰ مَنْ أوتي جوامع الكلم ، واختُصر له الكلام اختصاراً ، فكان أفصح الناطقين الضاد قاطبة ، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأنصار والمهاجرين وسائر الصحابة أجمعين ومَنْ أحبَّهم ، ونهج سبيلهم إلىٰ يوم الدين .

وبعد : فهـٰذه مقالات في نقد التفسير العلمي والعددي للقرآن الكريم ، كنت قد نشرتها علىٰ موقع (رسالتي) وقد لاقت قبولاً واستحساناً وقت نشرها ، واقترح عليَّ بعض الأصدقاء أن تُجمع في كتاب لتكون أقرب إلىٰ أيدي القارئين ، وخاصة الذين يُعنون بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، فصادف هـٰذا الاقتراح هوىٰ في الفؤاد ، فأجبته لذٰلك ، لـٰكني أعدتُ صياغتها وكتابتها ؛ لأن ما يُنشر في كتاب يفترق عمّا ينشر علىٰ شبكة المعلومات العالمية .

هـٰذا ، ولا بد من القول هنا بأنَّ هـٰذه الانتقادات لا تعني تجهيلاً لمن انتقدت تفسيراتهم التي انتهوا إليها ـ وأقصد المعروفين بالعلم والبارزين في الدعوة إلىٰ ٱلله تعالىٰ ـ إنَّما هي بيان للحق والصواب ، وهو ما نسعىٰ إليه جميعاً ، وقد قال الإمام أحمد بن فارس القزويني : « وليس كل من خالف قائلاً في مقالته فقد نسبه إلىٰ الجهل ، وذٰلك أنَّ الصدر الأول اختلفوا في تأويل آي من القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً . . . »[1] .

ولحظتُ أنَّ الأخطاء التي اعترت هـٰذه التفسيرات العلمية للقرآن تنحصر في أربعة أمور غالباً :

الأول : عدم مراعاة قواعد النحو وكثيراً ما يكون هـٰذا في عود الضمير .

---

(١) (الصاحبي في فقه اللغة ؛ لأحمد بن فارس : ٤٦) تحقيق السيد أحمد صقر ـ طبعة القاهرة .

الثاني : المجافاة بين هٰذه التفسيرات وبين اللغة ودلالاتها .

الثالث : إهمال السياق العام للآيات القرآنية ، وتفسيرها بمعزل عنه .

الرابع : التأويل المتعسف للمعجزة الخارقة للعادة ، لتكون ـ بزعمهم ـ مقبولة في العقل ! .

وفي الختام أريد أن أنبه علىٰ أمر ذي بال ، وهو أنني لم أقصد من هٰذا النقد للتفسير العلمي نفي ما ثبت من الإعجاز العلمي [1] في القرآن وهو ما تعانق فيه القرآن مع العلم وتآخىٰ فهٰذا لا يتأتىٰ لعاقل أن ينكره أو أن ينقده ، إذ هو من أنواع الإعجاز التي برزت في هٰذا العصر ، وكان لها أثر عظيم في هداية كثير من غير المسلمين ، فضلاً عن تثبيت المسلمين أنفسهم علىٰ إسلامهم وزيادة إيمانهم . . . وإنما قصدت من نقدي هٰذا التفسيرات المتعسفة للقرآن الكريم التي قوَّلته ما لم يقل ، ونسبت إليه ما هو منه براء وفي هٰذا خطر عظيم ، لأن هٰذه التفسيرات لا تنسب إلىٰ أصحابها الذين ألصقوها بالقرآن إلصاقاً ، وإنما تنسب إلىٰ القرآن نفسه وهٰذا واقع فعلاً فكم من آية نُزِّلت علىٰ نظرية علمية ثم تبين أن هٰذه النظرية ليست من الحقائق والعلم في شيء ، فيكون ذٰلك مدعاة

---

(١) هناك فرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي يعرفه المختصون انظر : (كتاب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ؛ للدكتور عبد ٱلله المصلح ٣٧ ـ ٣٨) .

للتشكيك في القرآن وفي مصداقيته ولتشكيك المسلمين أنفسهم في قرآنهم ، وإبعاد أهل الفكر والعلم سواهم عن هدايته وحقائقه .

وما أحسن ما قاله الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد في هٰذا المضمار :

« إن الأقوال الواهية عن السبق العلمي للقرآن الكريم لن تقنع غير المؤمن بأن القرآن كتاب منزل من عند ٱلله ، وليس من قول محمد النبي الأمي صلوات ٱلله عليه وسلامه »(1) .

والله أسأل أن ينفع بهٰذه المقالات لتكون منهاجاً صحيحاً في التفسير العلمي للقرآن العظيم .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

د . أحمد محمَّد الفاضل

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم

مدرس النحو والإعراب والتفسير والحديث وعلومه

في معهد الفتح الإسلامي بدمشق

دمشق : ٢٤ / ١١ / ١٤٢٩ هـ ـ ٢١ / ١١ / ٢٠٠٨ م

للمراسلة موقع (رسالتي) info@risalaty.net

---

(1) مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد : ١٢ / ص : ٧٢ بحث د . عبد الحافظ حلمي محمد (العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم) .

نقد التفسير العلمي المعاصر

لآية : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمٰن: ٣٧].

يرىٰ فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ـ حفظه الله تعالىٰ وزاد في نفعه ، وهو ممن يروج التفسير العلمي للقرآن الكريم ـ أن هٰذه الآية تدل دلالة ظاهرة إلىٰ الكوكب الذي اكتشف من مدة ليست ببعيدة ، والذي يشبه الوردة الحمراء ويحكيها ، وأن هٰذا التفسير للآية لا محيد عنه ؛ لأنها لا تدل إلا عليه ، ولا يُراد منها سواه ! !

يقول الدكتور النابلسي في هٰذا : « عرضت إحدىٰ أقوىٰ وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصد عملاق عبر موقعها المعلوماتي صورة لا يشك الناظر إليها لحظة أنها وردة جورية ذات أوراق حمراء قانية ، محاطة بوريقات خضراء زاهية . . . أما حقيقة هٰذه الصورة فهي صورة لانفجار نجم عملاق اسمه عين القط . . . . بل إنَّ صورة هٰذا النجم عند انفجاره هو تفسير هٰذه الآية . . . فلا أحد يخطر في باله أن نجماً ينفجر في السماء علىٰ

شكل وردة تماماً . . . »[1] .

وفي أثناء كلامه عن هٰذا الإعجاز العلمي قرر أن أكثر التفاسير هي التي فسرت هٰذه الآية ليس فيها ما يشفي الغليل ؛ لأنّ في القرآن آيات لمّا تُفسر[2] .

ولا ريب أن هٰذا الذي صار إليه الدكتور النابلسي في تفسير هٰذه الآية وبيان إعجازها ، ليس من التفسير في شيء ؛ لأنَّ الآية بمعزل عن هٰذا الاكتشاف العلمي وعن هٰذا المعنىٰ سواء أصحَّ هٰذا الاكتشاف أم لم يصح[3] .

وهاك الأدلة علىٰ هٰذا :

الأول : أنَّ الضمير في قوله (كانت) لا يعود علىٰ جزء هو الكوكب المزعوم ، بل يرجع إلىٰ كل ، وهو السماء ؛ وذٰلك لأن الآية تتحدث عن انشقاق السماء وتخبر بأنها كانت وردة ـ أي السماء ـ فاسم كان المستتر جوازاً مقدر بـ : (هي) العائد علىٰ السماء المنشقة[4] .

---

(١) (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (الآفاق) للدكتور النابلسي : ٧١ ـ ٧٣) وأعاد الكلام نفسه في ندوة معه في قناة الشارقة الفضائية .

(٢) انظر المصدر السابق (٧٢) .

(٣) لم يوثق الدكتور النابلسي كلامه الذي قاله ونقله بذكر وكالة الفضاء أو موقعها الإلكتروني .

(٤) انظر كتب الأعاريب المعاصرة للقرآن لأن المتقدمين لا يلتفتون إلىٰ إعراب =

ويقال أيضاً : كيف يعود الضمير علىٰ شيء غير مذكور من قبل ؟ لأن شرط الضمير العائد إلىٰ متقدم أن يكون ما عاد إليه مذكوراً إلا إذا كان معروفاً ومشهوراً كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر : ٤٥] فقوله : ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ ؛ أي : علىٰ ظهر الأرض [١] ، فأضمر لأنه لا يلتبس ولا يخفىٰ ، وأما في الآية التي بين أيدينا فلم يجر لهـٰذا الكوكب ذكر من قبل ، فكيف صح عود الضمير إلىٰ شيء غير موجود ؟ !

الثاني : أن الوردة المذكورة في الآية لا يراد منها الذات التي تشم وينتشر عبقها في الأرجاء والتي لها جرم وحيز كما توهم الأستاذ النابلسي ، بل المراد منها هنا الوصف ؛ لأن (الوردة) تطلق ويقصد بها الذات كقولك : فاح شذىٰ الوردة . . . وتطلق أيضاً ويعنىٰ بها الوصف ؛ اللون ، كما قالوا : أسد ورد ؛ أي أحمر ، وفرس وردة ؛ أي حمراء [٢] .

= الواضحات وإنما يعنون بالمعضلات . انظر مثلاً : (إعراب القرآن الكريم ؛ للدكتور محمد الطيب إبراهيم ص : ٥٣٢) .

(١) سمىٰ الحدادي هـٰذا النوع (الكناية عما لم يسبق ذكره) وذكر أمثلة قرآنية كثيرة منها هـٰذه الآية . انظر : (المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ ص : ٤٠٨) .

(٢) انظر : « مفردات ألفاظ القرآن » للراغب الأصفهاني (ورد) و« أساس البلاغة » ، للزمخشري (ورد) أيضاً ، و(الدر المصون ؛ للسمين الحلبي : ١٠ / ١٧٣) .

فالآية أرادت الوصف أي اللون ولم ترد الذات قط ؛ لأن تقدير الذات هنا يفيد المعنىٰ الذي سيقت من أجله الآية .

والمعنىٰ الصحيح للآية : فكانت السماء حمراء اللون أمارة للقيامة ، فهي كالدهن الذائب ، أو كاللون الأحمر المعروف ، أو كالأديم الأحمر [1] .

وهـٰذا الانشقاق إنما يكون يوم القيامة عندما ينفرط عقد الكواكب والنجوم ويختل نظامها ويصدم بعضها بعضاً مما يلبس السماء ثوباً أحمر قانياً كلون الوردة الحمراء . . . والآيات في هـٰذا المعنىٰ كثيرة [2] ، من ذٰلك قوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾ [الانفطار : ١ ـ ٢] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ [الانشقاق : ١ ـ ٢] .

الثالث : هـٰذا التفسير الذي قال به الدكتور النابلسي ، يصادم سياق الآيات وسباقها ولحاقها ، ولا بد لمن عكف علىٰ تفسير كتاب ٱلله عز وجل من مراعاة هـٰذا الجانب الخطير من أصول التفسير ، فكم من معنىٰ يتجلىٰ من خلال السياق ، فمثلاً : كلمة (أمة) تطلق غالباً علىٰ (الجماعة) (الطائفة) . . . لـٰكنها في قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ

---

(١) انظر : (تفسير ابن كثير : ٤ / ٣٤٥) ، و(روح المعاني ؛ للالوسي : ٢٧ / ١١٣) .

(٢) وهـٰذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو أعلىٰ أنواع التفسير كما قال ابن كثير ، انظر : (تفسيره : ٤ / ٣٤٥) ، وانظر : مقدمة تفسيره فهي نفيسة .

﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف : ٤٥] بمعنىٰ (المدة) أو (الزمن) ولا يصح معنىٰ الجماعة فيها البتة ؛ لأن السياق يبين المعنىٰ المراد وهو المدة كما قدمت [١] .

والآية التي نحن بصددها ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمـٰن : ٣٧] سياقها يتحدث عن يوم القيامة وأحداثه المفزعة ، وأن السماء تنشق أو تنفطر فتكون حمراء . . . وفي ذٰلك الوقت ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمـٰن : ٣٩] فما تتحدث عنه هـٰذه الآيات من الانشقاق والاحمرار وعدم السؤال عن الذنوب ـ لأنها مسطورة معلومة ـ وغير ذٰلك يكون يوم القيامة ، وليس هناك من ذكر لهـٰذا الكوكب الوهمي من قريب ولا بعيد . . .

والتنوين في قوله (يومئذٍ) تنوين عوض عن جملة محذوفة والتقدير : فيوم إذ انشقت السماء لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وهـٰذا صريح في أنه يوم القيامة [٢] .

فالخلاصة : أن هـٰذا التفسير منقوض من قواعده وذٰلك من ثلاث جهات :

١ ـ عود الضمائر . ٢ ـ واللغة . ٣ ـ والسياق .

---

(١) انظر : « مفردات ألفاظ القرآن » للراغب (أم) ، و(تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٤) .

(٢) انظر : (أوضح المسالك ؛ لابن هشام : ١ / ٥٣٨) ، و(الدر لمصون : ١٠ / ١٧٥) .

نقد التفسير العلمي المعاصر

لآية : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

يدعي الذين يفسرون القرآن الكريم تفسيراً علمياً بلا ضوابط ولا قيود علمية أن في هٰذه الآية إعجازاً علمياً أبرزه العلم في الوقت الحاضر ، وكان غائبا من قبل .

وهٰذا الإعجاز العلمي يتمثل في أن الوهن الذي وصف به بيت العنكبوت ، ليس الوهن الظاهري للبيت كما هو معلوم بداهة ، ولٰكنه وهن داخلي خفي ، ذٰلك لأن البيت الخارجي للعنكبوت ـ بزعمهم ـ من الإحكام والقوة بمكان !!!

فخيط بيت العنكبوت أقوىٰ وأمتن من مثيله من الحديد مثلاً بضعفين أو أكثر ، فعلىٰ هٰذا يكون المراد من الوهن في الآية التفكك الأسري في العائلة العنكبوتية ، فالأنثىٰ تأكل الذكر بعد التلقيح والصغار يأكل بعضهم بعضاً وهٰكذا ، فهو بيت تنقطع فيه أواصر المحبة والإخاء ، فهو أشبه ما يكون بأسرة إنسانية تنافر

أفرادها وتخاصموا . . . !!

والدليل على هٰذا الذي ذهبوا إليه ، أن الآية تقول في نهايتها : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فليس هناك أحد يجهل أن بيت العنكبوت واهٍ جداً ، فلا بد من القول إذن : إن الذي جهلوه هو هٰذا التفكك الداخلي بين أفراد الأسرة وهٰذه الحقيقة العلمية كانت مجهولة من قبل ، ولم تُعرف إلا في عصر العلم الذي نعيشه . . .

وممن قال بهٰذا الرأي الطبيب مصطفىٰ محمود والدكتور محمد راتب النابلسي [1] ، وتلقف كلام مصطفىٰ محمود كلُّ من جاء بعده ممن خاض في التفسير العلمي للقرآن الكريم .

وقد اشتهر هٰذا المعنىٰ العلمي للآية في الأوساط الدينية ، حتىٰ إنك لو ذكرت غيره من المعاني التي تحتملها الآية ، لنسبت إلىٰ الجهل وضآلة الاطلاع . . . !!

يقول مصطفىٰ محمود في بيان هٰذه الحقيقة العلمية ، وهٰذا

---

(١) لٰكن الدكتور النابلسي نقل ذٰلك عن أستاذ في علم الحشرات في كلية العلوم بجامعة القاهرة دون أن يذكر المصادر لهٰذا النقل ، وعلق عليه فقال : وقد يجمع الضعفان في ضعف واحد ، انظر : (موسوعة الإعجاز العلمي (الآفاق) ، للدكتور النابلسي : ٤١٥ ـ ٤١٦) وممَّن قال بهٰذا التفسير نقلاً عن مصطفىٰ محمود الأستاذ شوقي أبو خليل في مجلة نهج الإسلام العدد (٤٧) .

الإعجاز القرآني : « . . . والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ، ولم يقل القرآن الكريم خيط العنكبوت أو نسيج . . . وإنما قال بيت . . . والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقوىٰ من مثيله من الصلب ثلاث مرات . . . فلماذا يقول القرآن : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت : ٤١] ولماذا يختم بكلمة : ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ؟

والواقع أن هناك سراً بيولوجياً كشف العلم عنه . . . فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة ، فالعنكبوت الأنثىٰ هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه ، وهي الحاكمة عليه ، وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله ، والأبناء يأكل بعضهم بعضاً ، ولهـٰذا يعمد الذكر إلىٰ الفرار بجلده . . . وتغزل الأنثىٰ العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة ؛ أي : إنه ليس بيتاً بل مذبحة . . . وإنه أوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ » [1] .

وهـٰذا الذي انتهىٰ إليه طبيبنا مصطفىٰ محمود رحمه الله أبعد ما يكون عن مقصد الآية ومراد ٱلله تعالىٰ منها ؛ لأن الخطأ يعتوره من ثلاثة جوانب :

---

(١) (القرآن محاولة لفهم عصري ؛ للطبيب مصطفىٰ محمود : ٢٥١ ـ ٢٥٢) .

الأول : المبالغة والتشبيه ؛ لأن الادعاء بأن المقصود من الوهن في الآية الوهن الداخلي يطيح بتشبيه رائع تريده الآية .

والتشبيه تمثيلي ، فيه تشبيه صورة المشرك الذي يلجأ إلىٰ معبوده (الصنم) بقصد جلب النفع له ، أو دفع الضرر عنه ، ثم لا يجد أي نفع ولا تدفع عنه أي ضر ، بصورة العنكبوت التي تتعرض للخطر الداهم ، فتقفز إلىٰ بيتها أيضاً بقصد دفع الأذىٰ والضرر عن نفسها ، لـٰكن بيتها هـٰذا لا يجدي شيئاً .

يقول الطبري : « مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم وسوء اختيارهم لأنفسهم ، كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها ، اتخذت بيتاً لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه . . . »[1] .

هـٰذه الصورة البلاغية الرائعة التي يريدها القرآن الكريم تضيع إذا حملنا الوهن علىٰ أنه داخلي ينتشر بين أفراد الأسرة العنكبوتية .

الثاني : اللغة ؛ لأن الزعم بأن العنكبوت هنا هي الأنثىٰ خطأ ظاهر تأباه اللغة العربية لأن العنكبوت لا تنعت بأي من الوصفين : الذكورة والأنوثة كالنملة والنحل والدود ، وهو تأنيث لغوي

---

(١) (تفسير الطبري : ١٠ / ١٤٢) ، وانظر أيضاً : (التحرير والتنوير : لابن عاشور : ٢٠ / ٢٥٢) ، و(المنتخب في تفسير القرآن ص : ٥٩٧) .

لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم الطبيب مصطفىٰ محمود .

والنحلة أو العنكبوت قد تكون ذكراً كما قد تكون أنثىٰ [1] .

الثالث : المعنىٰ والأسلوب ؛ لأن الاستدلال بقوله تعالىٰ : ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤١] علىٰ أن الذي كانوا لا يعلمونه من قبل ، هو هٰذا الذي عرفه العلم الطبيعي اليوم من التفكك الأسري ، هو من البعد بمكان ؛ لأنه تعالىٰ جهّل المشركين لـمّا لم يعملوا بما علموا ؛ لأنهم قد علموا أن هٰذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ، لٰكن الاستكبار وتقليد الآباء والأجداد ، حملهم علىٰ مخالفة ما علموه [2] .

وهٰذا أسلوب قرآني شائع معروف ، فقد وصف ٱلله تعالىٰ المنافقين بقوله : ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٨] وغير ذٰلك من الآيات ، وهم علىٰ الحقيقة ليسوا صماً ولا بكماً ولا عمياً ، لٰكن لمّا لم يستفيدوا من حواسهم هٰذه ، جعلها بمنزلة

---

(١) قال أبو السعود في (تفسيره : ٧ / ٤٠) : « والعنكبوت يقع علىٰ الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث » ، وانظر : (حاشية الخفاجي علىٰ البيضاوي : ٧ / ١٠٢) ، وانظر أيضاً : (القرآن وقضايا الإنسان ؛ للدكتورة عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطئ) : ٣٥٩ ـ ٣٦٠) .

(٢) أو نقول : إن جواب (لو) محذوف والتقدير : لو كانوا يعلمون شيئاً من الأشياء لجزموا أن هٰذا مثلهم أو أن دينهم أوهىٰ من ذٰلك . انظر : (تفسير أبي السعود : ٧ / ٤١) .

المعدومة والمعطلة ، وكذلك الشأن في هذه الآية التي بين أيدينا .

يقول الزمخشري في هذه الآية : « كانت حواسهم سليمة ، ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم ، جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم »[1] .

✍ ✍ ✍

---

(١) (تفسير الزمخشري : ١ / ٢٠٣) ومعنى إيفت مشاعرهم أي : أصيبت حواسهم بآفة .

نقد التفسير العلمي المعاصر

لآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

يدعي أصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم أن الذبابة إذا خطفت من الإنسان شيئاً ـ ولو حقيراً ـ فإنه لا يستطيع أن يسترد هٰذا المخطوف منها مهما أوتي من علم وقدرة ؛ لأن ما خطفته هٰذه الذبابة يتحول سريعاً إلىٰ سكريات ذائبة ، وذٰلك لخاصية معينة في لعاب الذبابة ، فالطالب ـ ويريدون منه الإنسان ـ ضعيف لذٰلك ، والمطلوب ـ الذبابة ـ ضعيف أيضاً فالتقىٰ ضعفه وضعفها !!

والذي حملهم علىٰ هٰذا التفسير المصادم للقواعد والضوابط في أصول التفسير ، تصورهم أن عالم الكيمياء مثلاً يمكن أن يحبس الذبابة السالبة ، وأن يسترد منها ما كانت سلبته من ذرة سكر ونحوها ، وبذٰلك تتخلف الآية حين تقول : ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ

﴿ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ [الحج : ٧٣] فلا يتحقق ما وراء النفي المذكور !!

وممن روَّج هـٰذا المعنىٰ للآية الطبيب مصطفىٰ محمود ، وحمله عنه كثيرون [١] ، منهم أساتذة جامعيون وأخذوا ينشرونه بين طلابهم المساكين الذين جحظت عيون عقولهم لهـٰذا المعنىٰ المبتكر الذي تفتقت عنه أفكار هـٰؤلاء الكبار !!

ولو سألت طالباً من هـٰؤلاء عن تفسير هـٰذه الآية ، لما عرف إلا التفسير الذي سمعه من هـٰؤلاء الفضلاء ولأنكر أي معنىٰ يخالفه . . . !!

فحال هـٰذا الطالب كحال الشاعر المحب الذي يقول :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

يقول الطبيب مصطفىٰ محمود موضحاً إعجازه العلمي : « وهو مثل مازال معجزاً للعلم والعلماء بعد ألف سنة من تطور العلم والتكنولوجيا . . . فمن يستطيع أن يخلق ذبابة علىٰ هوانها وتفاهتها ؟ . . . بل إنها لو سلبتك الذبابة ذرة من النشاء من طعامك فإن عباقرة الكيمياء لو اجتمعوا لا يستطيعون استرداد هـٰذه الذرة من

---

(١) وأما كلام الدكتور النابلسي في هـٰذه الآية وتفسيرها ، والاستدلال بها فعجيب ومضطرب ، انظر : (موسوعة الإعجاز العلمي : ٤٠٩ ـ ٤١١) .

أمعائها ؛ لأنها تتحول فوراً إلىٰ سكر بفعل الخمائر الهاضمة .

فما أضعف الطالب والمطلوب ! ما أضعف عبقري الكيمياء وما أهون الذبابة وما أتفه ذرة من النشاء في عالم هائل بلا حدود »[1] .

وهٰذا التفسير العلمي الذي صَدَعَ به الطبيب مصطفىٰ محمود تعاديه اللغة والنحو وتصادمه أصول التفسير وقواعده ، وذٰلك بأمرين :

الأول : يتعلق بالسياق ـ ولا غنىٰ للناظر في كتاب ٱلله تعالىٰ عن مراعاة ذٰلك ـ لأن الآيات في سياق الحديث عن المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون ٱلله عز وجل فالآيات السابقة تقول : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ [الحج : ٧١ ـ ٧٢] فهي تخبر علىٰ سبيل التعجيب والاستنكار عن عبادة المشركين للأصنام وإعراضهم عن عبادة ٱلله تعالىٰ غير مستندين في عبادتهم هٰذه إلىٰ حجة أو علم . . . فليس في أيديهم دليل عقلي يؤيدهم ولا دليل نقلي يعضدهم .

---

(١) (القرآن محاولة لفهم عصري : ٢٤٠ ـ ٢٤١) وممن قال بهٰذا التفسير الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه (التوحيد : ١٧٢) .

وفي الآية التي نحن بصددها يضرب ٱلله تعال الأمثال للناس ، ويخاطبهم ـ وخاصة المشركين ـ منبهاً محذراً بأن هٰذه الأصنام التي يدعون ويعبدون في غاية الحقارة والضعف ، وقد ذكر دليلين ظاهرين علىٰ ذٰلك :

أولهما : عجزها اللائح عن إيجاد أي مخلوق ، ولو كان في منتهىٰ الحقارة والضعف كالذبابة ونحوها .

ثانيهما : ضعفها ـ أي الأصنام ـ عن استرجاع شيء خطفته الذبابة منها [١] .

وبهٰذين الدليلين يتجلىٰ ضعف الطالب ـ أي الأصنام ـ والمطلوب ـ أي الذبابة ـ فالأصنام بمنزلة الذباب ، فكيف تعبد دون رب الأرباب ؟ !

الثاني : يتعلق بالضمائر وعودها ؛ لأن الضمير في قوله ﴿ لَن يَخْلُقُواْ ﴾ [الحج : ٧٣] وهو واو الفاعل عائد إلىٰ الأصنام لا إلىٰ الناس كما فهم مصطفىٰ محمود ومن سار علىٰ دربه !! انظر الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . وقوله : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ ﴾ الضمير المفعول به في (يسلبهم) عائد إلىٰ الأصنام أيضاً خلافاً لتوهم مصطفىٰ محمود من عودته للناس !!

---

(١) قال أبو السعود في (تفسيره : ٦ / ١٢١) : « ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال » .

فالمعنىٰ : لو أن الذبابة سلبت الصنم شيئاً لما استطاع أن يسترده منها ؛ لأنه أعجز منها وأهون ، وأنىٰ له ذٰلك وهو لا حراك به .

وعلىٰ هـٰذا فالطالب هو الأصنام والمطلوب الذباب ، لا كما قرر من طلب حقيقة في آية هي غير مطلوبه . .

✍ ✍ ✍

لآية : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٩٦] .

يرىٰ المتصدرون للتفسير العلمي الذي يخبط خبط عشواء أن شفاء يعقوب المحب المفجوع بولده يوسف عليه السلام لم يكن بسر الرائحة التي تضمخ بها قميص يوسف وانتقلت منه كما هو ظاهر من الآية وهٰذه معجزة لأنَّ فيها خرقاً للعادة كما هو معروف في العقيدة ، بل يرىٰ هٰؤلاء أن سر الإبصار وسببه يعود لأمر طبي مادي ، ويفسرون ذٰلك بتفسيرين :

الأول : أن عرق يوسف الذي تشربه قميصه ، فيه مادة طبية ترياقية كان لها أثر مادي في الشفاء ، وذٰلك عندما مس القميص عيني يعقوب ، فكان من ذٰلك شفاؤه وزوال الغشاوة عن عينيه .

وهٰذا ـ كما يزعمون ـ ما قرره الأطباء بعد إجراء دراسات وتجارب علىٰ هٰذه المادة المستخلصة من العرق !!

الثاني : أن انخفاض ضغط الدم عند السعادة المفاجئة قد تعيد

البصر في حالة وجود (الماء البيضاء) في العين [١] .

يقولون : « لقد انخفض ضغط الدم عند يعقوب بعد أن أحس أن ابنه حي يُرزق وانصرف عنه الحزن والألم وانتابه حالة من السرور والفرح فارتد إليه البصر » [٢] .

علىٰ هـٰذا التفسير ليس لشفاء يعقوب من علاقة بالحب ، ولا بالمعجزة الغيبية ، إنما هو علاج مادي صِرف .

ومما لا يمتري فيه اثنان أن هـٰذا التفسير باطل ، وذٰلك من وجوه :

الأول : أنه إن ساغ لنا القول بأن شفاء يعقوب ، كان لأمر طبي نتيجة للمادة العرقية التي يحملها القميص ، فكيف يسوغ لنا تفسير شم يعقوب لرائحة يوسف التي يحملها القميص من مسافات بعيدة ؟

هل يتأتىٰ لعاقل أن يفسر ذٰلك الشم تفسيراً مادياً بحتاً ؟ وأنىٰ له ذٰلك ؟

---

(١) وكأنهم أجروا فحصاً طبياً غيبياً علىٰ عيني سيدنا يعقوب عن طريق الفنتازيا (الخيال المجنح) فأدركوا أن مرضه سببه الماء البيضاء !!!

(٢) نقل ذٰلك عبد الرزاق نوفل في كتابه : (القرآن والعلم الحديث : ١٣٨ ـ ١٣٩) وكذٰلك الطبيب قزموز وزميله في : (مع الطب في القرآن الكريم : ٥٩) .

هٰذه الآية تبين لنا أثر الحب في المحب والمحبوب وأنه قد يبلغ مبلغاً يتجاوز الإنسان به حدود الزمان والمكان وكل الحواجز المادية التي تحدد عتبات لا يمكن تجاوزها وتخطيها ، فيعقوب الذي أترع قلبه بالحب لولده الغائب المفقود يوسف يشم رائحته ؛ لأنه تحول بهٰذا الحب من المبنىٰ إلىٰ المعنىٰ ، فصار كتلة متوقدة من الحب . . . يقول لمن حوله : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف : ٩٤] .

لقد حمل الهواء رائحة المحبوب للمحب ، فما استطاع أن يكتم ما وجده وأحس به ، ولما كان مَنْ حوله في وادٍ وهو في واد الشوق ، أكد لهم أنه يشم ويدرك ما لا يشمه ويدركه الآخرون من حوله ، لذٰلك كله قوّىٰ كلامه بثلاثة مؤكدات : (إنَّ) ، واللام في (لأجد) ، والفعل المضارع بصيغة الحاضر (أجد) والتعبير عن الشم بالوجود الذي يطلق علىٰ الموجود المرئي غالباً . . . وبعد ذٰلك حذف جواب الشرط [١] في قوله : (لولا أن تنفدون) أي : لولا أن تنسبوني للهرم والسفه لحدثتكم بأعظم من ذٰلك ؛ أي : أعجب من شم رائحة يوسف . . . !!

---

(١) قال الآلوسي في (تفسيره : ١٣ / ٥٤) في تقدير جواب الشرط المحذوف : (أو لقلت إن يوسف قريب مكانه أو لقاؤه أو نحو ذٰلك . .) أو المعنىٰ كما قال الزمخشري في (تفسيره : ٢ / ٣٤٣) : « والمعنىٰ لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني » يعني جواب لولا محذوف .

الثاني : أنه إن سلمنا بأن هناك مادة من العرق تؤثر بعض التأثير في شفاء بعض أمراض العين ، فهل كانت هـٰذه المادة من الكثرة الكاثرة حتىٰ تذهب المرض إذا ما مسّت وجه يعقوب مساً رقيقاً ؟

ونحن نرىٰ في الواقع أن أمراض العين (البسيطة) كالرمد ونحوه تحتاج إلىٰ معالجة دائمة وقطرات وافرة حتىٰ يتم الشفاء ، فكيف يكون الشأن بغشاوة حالت بين العين والرؤية ؟ !!

الثالث : أن هـٰذا التفسير المادي ، يريد أن يذهب رونق المعجزة الظاهرة من هـٰذه الحادثة ، ليصرف العقل المسلم عن التسليم بالغيبيات والمعجزات ، وليسوِّي بين القلوب الملتاعة المحترقة والعقول الجافة المتحجرة وهل يسوِّي بينهما إلا من فقدهما ؟ !!

إن هـٰذا المذهب في التفسير مذهب عقلي مادي ، يخرج المعجزة عن كونها خارقة للعادة ، ولو سرنا علىٰ هـٰذا النهج المادي لما أبقينا معجزة إلا ولوينا أعناق الآيات لتأويلها ، ولا ريب أن هـٰذا منهج منحرف مردود يصادم أصول العقيدة الإسلامية ومسلماتها . .

✍ ✍ ✍

نقد التفسير العلمي المعاصر

لآية : ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٢ ـ ١٤٤] .

يزعم من ننتقد تفسيرهم العلمي المعاصر أن يونس النبي الكريم عليه السلام عندما التقمه الحوت بعد خروجه من القرية مغاضباً ، وركوبه البحر ، ثم إلقائه فيه بعد مساهمته ـ أي اقتراعه ـ يزعم أنه سقط في حجرة الهواء ؛ أي في رئة الحوت ، فلم يُحل بينه وبين الهواء الذي تقوم به الحياة عادة ؛ لهذا لم يمت وبقي حياً طوال المدة التي مكثها في بطن الحوت ولولا وقوعه في هذه الحجرة الهوائية ، لهلك من ساعته ! !

هكذا يفهمون سر نجاة هذا النبي ، فما هي إلا أسباب ومسببات ، وليس هناك آية ولا معجزة خارقة للعادة . . . !

ولست أدري ماذا بقي من المعجزات بعد هذا التفسير المتعسف ؟ ! لم يبق إلا أن ننكر ذواتنا وأنفسنا ؛ لأنها معجزات لكنها مألوفة !

وما أدري أيضاً ماذا يقولون في معجزة الإسراء والمعراج التي

كانت لرسول ٱلله ﷺ وخاصة المعراج الذي تجاوز به رسول ٱلله السمٰوات العلىٰ ، ولم يكن في مركبة فضائية مترعة بالأوكسجين وما تكون به حياة الإنسان ؟ !

وهٰذا التفسير (بل التحريف) منقوض من قواعده وذٰلك بأمور :

الأول : أن الآيات التي ذكرت سيدنا يونس والتقام الحوت له جاءت في نسق الآيات التي تتحدث عن الأنبياء ومعجزاتهم التي أيدهم ٱلله تعالىٰ بها ، فذكرت داود وتسبيح الجبال والطير معه ، وسليمان وتسخير الريح والشياطين له ، ثم ذكرت ما أصاب أيوب من البلاء الشديد وكيف كشف ٱلله عز وجل عنه الضر الذي أحاط به ، بعد ذٰلك جاء ذكر ذي النون (يونس) الذي ترك قومه المعرضين عن دعوته مغاضباً فقال تعالىٰ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون : ٨٧ ـ ٨٨] وقد أردفت هٰذه الآيات بذكر زكريا ودعائه والتجائه إلىٰ ٱلله سبحانه وتعالىٰ ليرزقه الولد الصالح ـ وقد كان شيخاً كبيراً وكانت زوجه عقيماً ـ فأعطي ما سأل .

وهٰكذا نرىٰ أن سياق الآيات يتحدث عن الأنبياء ومعجزاتهم التي تجاوزت نواميس الكون وقوانينه المعروفة فلا يسوغ في عقل عاقل أن يفسرها تفسيراً مادياً وكذٰلك الأمر الذي وقع

ليونس عليه السلام ما هو إلا معجزة صرفة وما هي من الأسباب المادية في شيء .

الثاني : أنه لو سلمنا جدلاً أن يونس سقط في حجرة الهواء كما يدعون ، فلا بد أن يقال لهم : كيف نجا إذن من بين ماضغي الحوت بعد التقامه ؟ كيف يتصور أن يقع إنسان في فم حوت في ظلمة الليل والبحر مضطرب ، ثم يبقىٰ حياً دون أن يتمزق شر ممزق ؟ !

ثم إني لأسأل سؤال المستفسر المتعجب : هل جرت العادة في عالم الحيتان أنها عندما تبتلع شيئاً تلقيه في حجرة الهواء وتبقىٰ معداتها الضخمة الفارغة يعض بعضها بعضاً ؟ !

من قال هـٰذا ؟ ! وفي أي مرجع علمي عظيم حظي به ؟ ! أم هي أضغاث أحلام رآها في منامه ثم أذاعها بين الناس علىٰ أنها حقائق علمية !!!

لا ريب أن يونس كان في بطن الحوت كما أخبر ٱلله عز وجل حيث قال : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤] وقد أمر ٱلله تعالىٰ هـٰذا المخلوق أن يحفظ عبده يونس في بطنه حياً ؛ ليكون أشبه بالسجن ، وكأن ٱلله تعالىٰ قال لهـٰذا الحوت الفتاك : هـٰذا عبدي يونس لا تنهش له لحماً ولا تحطم له عظماً لـٰكن احفظه سجيناً في بطنك إلىٰ حين [١]

(١) ورد نحو ذٰلك عن الصحابة والسلف . انظر : (ابن كثير (٣ / ٢٤٦) .

وهٰذا مظهر المعجزة الخارقة للعادة .

الثالث : ويقال لهم أيضاً : كيف تفسرون ما حصل ليونس بعد ذٰلك من خروجه من بطن الحوت وقذفه له في مكان مناسب علىٰ الشاطئ ، وإنبات ٱلله تعالىٰ عليه شجرة من يقطين ، لتعود إليه قوته وصحته بعد هٰذه المحنة وهٰذا الابتلاء ؟ !

كل ذٰلك يقرر أن بقاءه حياً في بطن الحوت ، كان معجزة لا يماري فيها إلا جاهل أو معاند ، ويعضد هٰذا أن الآية بيّنت أن سبب نجاته كان التجاؤه إلىٰ مولاه تعالىٰ ، وتسبيحه إياه أي فما كانت نجاته بالأسباب المادية إنما كانت بأسباب غيبية لأن فرار المضطر إلىٰ ٱلله والتجاءه إليه ودعاءه إيّاه لا يخرج عن نطاق الغيب .

الرابع : أن هٰذا التحريف لمثل هٰذه المعجزة إنكار مطبق غير صريح للمعجزات المادية التي وقعت للأنبياء ، وهٰذا مسلك الماديين[1] .

ولو أنصف هٰؤلاء لأدركوا أن الإنسان عينه معجزة في ظاهره وباطنه وعقله وجسده ، لٰكنه معجزة مألوفة ، فقد ألف هٰذا المخلوق نفسه وما حوله من آيات فغاب عنه وجه الإعجاز ، ولو

---

(١) انظر ما كتبه العلامة مصطفىٰ صبري في المعجزة وبيانها ودليلها في رده علىٰ المحرفين للمعجزات باسم التأويل كتابه الجليل : موقف العقل .

دقق النظر واعتبر لأدرك أنه من أعظم المعجزات ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات : ٢١] .

وتـــزعـــم أنـــك جـــرم صغيـــر

وفيـــك انطـــوى العـــالـــم الأكبـــر

✍ ✍ ✍

نقد التفسير العلمي المعاصر

لآية : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق : ١٩] .

لعل القارئ يعجب أيما عجب عندما يقرأ التفسير العلمي المعاصر لهٰذه الآية التي بين أيدينا ليرىٰ المبالغة التي يمتطي ظهرها الذين أولعوا بهٰذا النمط من التفسير دون مراعاة للضوابط اللازمة ، وأصول التفسير الحاكمة .

يرىٰ هٰؤلاء أن هٰذه الآية تشير إلىٰ الصواريخ ذات الطبقات المتعددة التي تنطلق إلىٰ الفضاء متجاوزة الغلاف الجوي للأرض ؛ لأنها كلما قطعت مرحلة محددة ، انفصل منها جزء وهٰكذا دواليك إلىٰ أن تصل إلىٰ غرضها ، فيبقىٰ الجزء ـ القمرة ـ الذي يحمل رواد الفضاء ! !

يقول الأستاذ محمد وفا الأميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو ممن قال بالتفسير السابق : « ومنها قوله تعالىٰ : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ فيها إشارة إلىٰ طبقات الصواريخ ذات المراحل الثلاث أو الأكثر المتعددة المراحل التي أطلقت من الأرض وركبها الإنسان إلىٰ الفضاء الخارجي في هٰذا العصر ، واخترق بها طبقات الغلاف الجوي

المختلفة ، فقد ركب الإنسان كما وعده ربه طبقات الجو وغيره »[1] .

وهٰذا الذي ارتآه الأستاذ الأميري بعيد كل البعد عن مراد الآية الكريمة ، ويظهر ذٰلك من وجهين :

الأول : سياق الآيات التي تنتظم فيها الآية ، فقد سبقت هٰذه الآية بقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴾ [الانشاقق : ١٠ ـ ١١] فقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴾ هٰذا بيان للجزاء الذي أعد للكافر الجاحد يوم القيامة ، ثم أكدت الآيات أن هٰذا العذاب الموعود مصيبه لا محالة ، وذٰلك من خلال القسم في قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق : ١٦ ـ ١٨] ثم جاءت الآية : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ ثم عادت الآيات لتقريع الكافرين وتوبيخهم ، وذٰلك بالتعجيب من إعراضهم عن الإيمان وانصرافهم عن السجود لسماع القرآن ثم توعدتهم بالعذاب الأليم الذي يتربص بهم . . . وذكرت بعد ذٰلك جزاء المؤمنين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴾ [الانشقاق : ٢٥] وعدم الالتفات إلىٰ السياق من الأستاذ الأميري ، يذكرنا بتفسير عجيب ، ملخصه : أن قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير : ٤] تنبؤ باختراع وسائل الانتقال الحديثة من

---

(١) (الإشارات العلمية في القرآن الكريم ؛ للأستاذ الأميري : ١٦) الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

سيارات وقطارات وطائرات واستخدامها بدلاً من الإبل والعشار من النوق مما مضىٰ علىٰ حملها عشرة أشهر [1] !!

ولو نظرنا في السياق ، لرأينا أنه في تعداد أحداث يوم القيامة ، وليس هناك من علاقة بهـٰذا المعنىٰ الذي زُعم .

الثاني : وهـٰذا الدليل مبني علىٰ الدليل الأول ، فبعد أن عرفنا سياق الآيات تبين لنا أنه لا علاقة للصورايخ وطبقاتها بهـٰذه الآية لا من قريب ولا من بعيد . . . بل المراد من قوله : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق : ١٩] ـ كما قال كثير من السلف ـ شدة بعد شدة ، فهـٰذا وعيد مخيف من الله تعالىٰ للكافرين بأنهم سيلاقون حالا بعد حال من العذاب ، وسينتقلون من درك من جهنم إلىٰ درك آخر أسفل منه [2] .

✍ ✍ ✍

---

(١) نقل ذلك الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد في بحثه في مجلة الفكر المذكور سابقاً في الصفحة(٧٢) وانظر : كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، للدكتور يوسف القرضاوي ص ٤٥٣ .

(٢) انظر : (تفسير ابن كثير ٤ / ٦٢٥) .

نقد التفسير العددي المعاصر

لآية : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

وتحطمت الطائرات في برجي التجارة العالمي في نيويورك ، وكان حدثاً عظيماً ، أذهل البشرية ، وهزَّها هزاً عنيفاً .

وقد أفرح هـٰذا الزلزال أناساً كثيرين ، وأثلج قلوبهم ؛ لأنه شفىٰ صدورهم ، وأسكن نفوسهم ؛ لأن أمريكا تمادت في عدوانها ، وأسرفت في طغيانها ، فما أجدرها ـ برأيهم ـ أن تُنكب ، وأن تُصاب بالكوارث ، وأن تحيط بها الدوائر . . .

وكما صدع السابقون بفرحهم العارم ، حزن آخرون واغتموا ، إمّا لفقد أحباب لهم ، كانوا في أحد البرجين ، وإمّا لأنهم أحسوا بما أُوتوا من معرفة وفكر ثاقب بأنَّ بلاءً مستطيراً وكيداً فظيعاً يتربص بالمسلمين في كل مكان إثر هـٰذا العمل الأرعن الذي حسب أصحابه المنفذون المباشرون ، والمخططون البعيدون ، أنه سيكون انتصاراً مؤزراً كالانتصارات التي كانت علىٰ أيدي المسلمين

في معاركهم الكبرىٰ ، فما هو من الانتصار ببدر واليرموك وحطين ببعيد . . . ! !

لٰكنَّ الأمر جاء كما فطن له ذوو الألباب وأولو البصائر الذين لا ينظرون إلىٰ الحدث نفسه ، بل يُحدون النظر ويطيلون التأمل في الحدث وما قبله ، وما وراءه ، ويرون بعيون قلوبهم ما لا يراه غيرهم بعيون رؤوسهم ، فقد نال المسلمين ما نالهم غِبَّ هٰذه الغزوات !! فاجتيحت أفغانستان وبعدها العراق وألصقت بالإسلام والمسلمين كل شنيعة وكل معرة ، وما زالت النكبات تصيبهم وتلاحقهم ، وكان من آخرها ما ادعاه الأفاكون المفترون في حق سيد الخلق ذي الخلق العظيم ﷺ .

وبعد الذي جرىٰ تحفزت فئة من الناس فأخذت تبحث عن هٰذا الحدث الخطير في القرآن الكريم ؛ لأن هٰذا الكتاب ـ بزعمهم ـ لا بد أن يكون قد أشار إلىٰ ذٰلك إشارة قريبة أو بعيدة . . . فهو الكتاب الذي لا يفوته شيء إذ هو تبيان لكل شيء !!

وبعد لأيٍ (أي تعب) عثروا علىٰ الصيد السمين والكنز الدفين الذي يريدون . . . !

يقولون : تدمير البرجين كان في الحادي عشر من الشهر التاسع (سبتمبر) والبرجان في الشارع رقم [١٠٩] وهنا الاكتشاف الرائع المدهش !! إن الآية القرآنية [١٠٩] وهٰذا يوافق

رقم الشارع !! وأيضاً الجزء الذي فيه هـٰذه الآية من سورة التوبة ، هو الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم ، وهـٰذا يوافق اليوم الحادي عشر الذي وقع فيه الحدث الجلل !! ثم يغالون بما لا يعقل ولا يتصور حتىٰ في عالم الفنتازيا (الخيال المجنح) فيزعمون أن اسم الشارع الذي فيه البرجان (جرف هار) !!!

وكل الذي سبق يدل عليه قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] فهو بنيان شُيِّد علىٰ غير التقوىٰ والإيمان لذٰلك تداعىٰ فهو خاوٍ علىٰ عروشه !!

ما أعظم هـٰذا التوافق الذي نطق به القرآن العظيم قبل أربعة عشر قرناً خلت !! . . . إنَّه لدلالة قاطعة بأنه كلام ٱلله الذي يتجاوز المكان والزمان والغيوب . . .

هـٰذا ما تدفق به البيان البليغ لبعض الخطباء في يوم الجمعة ، وقد شُدِهَ (دهش) الناس لسماع هـٰذا الكلام العجيب الذي يبرز إعجاز القرآن العظيم العددي والعلمي . . . !!

وبعد ، فهل هـٰذا الهراء الساقط إعجاز حواه القرآن كما يزعم هـٰؤلاء ؟

لا جرم أن هـٰذا باطل بيِّنُ البطلان ، وفاسد بين الفساد ودونك الأدلة الناصعة علىٰ هـٰذا :

الأول : أن هٰذه الاصطلاحات ـ الترقيم للصفحات وللآيات وتقسيم القرآن لأجزاء ـ كل ذٰلك طارئ محدث لم يكن في عهد رسول ٱلله ﷺ ولا الصحابة حين كتب القرآن العظيم ، وهي شكلية تخص الشكل والهيئة ، ولا علاقة لها بأي جانب من جوانب الإعجاز القرآني ؛ لأن الإعجاز إنما يتعلق بالمضمون والمعاني ، وليس له من صلة بشكل الحرف وكتابته فضلاً عن هٰذه الاصطلاحات الطارفة التي اتفق عليها فيما بعد [1] .

فكيف يسوغ في عقل عاقل أن نجعل من مثل هٰذه المصطلحات البشرية محلاً للإعجاز والتحدي ؟ !

الثاني : أن أصحاب هٰذا الإعجاز الباهر ، يركنون في إعجازهم هٰذا علىٰ عدد الآيات في سورة التوبة وأرقامها .

وهٰذه الآية [١٠٩] إنما هي كذٰلك علىٰ قراءة حفص ، وأمّا علىٰ قراءة ورش عن نافع فهي مختلفة ، إذ تصير [١١٠] [2] !!

---

(١) فيختلف عدد الصفحات في القرآن باختلاف حجم الخط صغرا وكبرا . انظر : الفصل المهم من كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ؛ للشيخ طاهر الجزائري ص : ١٩٥) وما بعدها ، وانظر أيضاً : (معجم علوم القرآن ؛ لإبراهيم الجرمي) (عد) .

(٢) وذٰلك بناء علىٰ طبعة مصحف المدينة المنورة برواية ورش عن نافع وقد ذكرت اللجنة في نهايته أنها اتبعت في عد آياته طريقة عدد (المدني الأخير) وهو ماروواه إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جماز عن شيبة بن نصاح وأبي جعفر . وعدد آي القرآن علىٰ طريقته (٦٢١٤) وانظر صورة الصفحة من هٰذه=

فكيف يبنى الإعجاز القرآني على أمر مختلف فيه هذا الاختلاف ؟ !

سورة التوبة ١٧٧ الجزء الحادي

أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو
التواب الرحيم ۝ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمومنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون ۝ وءاخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما
يتوب عليهم والله عليم حكيم ۝ الذين اتخذوا مسجدا ضرارا
وكفرا وتفريقا بين المومنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون
۝ لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن
تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ۝
أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس
بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي
القوم الظالمين ۝ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن
تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ۝ إن الله اشترى من المومنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرءان ومن أوفى

ربع

سورة التوبة ، آية (١١٠) قراءة ورش عن نافع

= الرواية والطبعة وكان تاريخها ١٤١٦ هـ .

ولا بد من الإشارة هنا إلىٰ أن هـٰذا الاختلاف في عدد الآيات ، إنما هو ناشئ من اختلاف عدِّ آية من الآيات آيتين عند قارئ وآية واحدة عند قارئ آخر كما في سورة الفاتحة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] [1] .

ونقول لهـٰؤلاء الذين قرروا هـٰذا الإعجاز : لا ريب أن أهل المغرب العربي الكبير ـ وهم علىٰ قراءة ورش ـ عندما سمعوا بهـٰذا الإعجاز العددي الرائع ، فتحوا مصاحفهم ليتأملوا فيه ، فوجدوا أن الرقم المعجز [١٠٩] غير معجز في قراءتهم ومصحفهم ؛ لأنه عندهم [١١٠] فقاولوا : يا أهل المشرق إن هـٰذا الإعجاز في قرآنكم لا في قرآننا . . . !!

أي عاقل يهبط إلىٰ هـٰذا الحد من السخف الساخف في الفكر والعقل والمنطق ، ليقول مثل هـٰذا الكلام ؟ ! ومتىٰ كان الإعجاز في القرآن الكريم يفترق من نسخة إلىٰ أخرىٰ ؟ !

الثالث : إني لأجزم أن المروجين لما يسمىٰ زوراً وبهتاناً (الإعجاز العددي) هم أتباع الطائفة البهائية القاديانية والفرق

---

(١) فالفاتحة عند الشافعي سبع آيات مع البسملة ؛ لأنه عد ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ آية واحدة . والفاتحة سبع آيات أيضاً عند الحنفية دون البسملة ؛ لأنهم عدوا هـٰذه الآية آيتين . انظر أدلة كل فريق في كتاب : (تفسير الفاتحة ؛ لأستاذنا الدكتور نور الدين عتر ص : ٤٤) وما بعدها ، وانظر : (الإتقان ؛ للسيوطي : ١ / ٢١٢) .

الباطنية التي تؤسس اعتقادتها علىٰ الحروف وأعدادها .

ولعل أكبر شاهد علىٰ ما أقول ما كتبه رشاد خليفة عن الرقم [١٩] في كتيبه (عليها تسعة عشر) والأكاذيب التي ضمها هـٰذا الكتيب ، ثم تبيّن بعد حين أن رشاد خليفة قادياني المذهب والاعتقاد ، وكانت نهايته الوخيمة في أمريكا . .

وهـٰذه الفرق المنحرفة المعاصرة لها جذورها في الماضي ، وقد بيّن فضائحهم ومخازيهم الإمام الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) .

فإذا كان الشأن كما ذكرنا وبيّنا ، فليتق ٱلله تعالىٰ الدعاة والخطباء الذين يحملون مثل هـٰذا الغثاء ، ثم يبثونه بين المسلمين دون وعي وإدراك لنتائجه في المستقبل علىٰ عقولهم وعقائدهم . . . وما أجدر أن نتحرىٰ في مثل هـٰذا ، وأن نستوثق من القضايا كلها ، أخباراً كانت أو دعاوىٰ وقد قال علماؤنا من قبل : (إذا نقلت فالصحة وإذا ادعيت فالدليل) لأنَّ قرآننا العظيم يأمرنا بذٰلك إذ يقول : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

هـٰذا ، وقد كثرت في هـٰذه الأيام الكتب التي تطرق ما يسمىٰ بالإعجاز العددي في القرآن الكريم ، وتراكمت في المكتبات وفي حواشي الطرقات ، فأضحت من كثرتها مثل كثبان الرمل في الصحراء ، أو مثل صبر القمح في البيادر . . . وغدت الكتابة في هـٰذا الفن (العظيم !!) تجارة رابحة ، يمتطيها كل راكب ويقتحمها كل مقتحم . . . وحسبه في ذٰلك مجرد القراءة المتوّجة

بالأخطاء النحوية الفاحشة ، ولا ضير عليه أن يكون أمياً صِرفاً في العلوم الشرعية والعربية ، لأنها ـ بزعمه ـ علوم مهمشة مقحمة . . . فما أغنىٰ الباحث في القرآن عنها . . . !!

وقد انتهىٰ بعض هٰؤلاء الأفذاذ المجتهدين اجتهاداً مطلقاً إلىٰ سخافات عقلية وحماقات علمية عجيبة فاتت أمثاله في السخف من السابقين . . . !!

ومن أغرب ما صار إليه من هٰذه الاجتهادات الحمقاوية أنه ناصر وصحح رأياً فقهياً يقول به بعض المبتدعة اعتمادا علىٰ عدد الحروف في بعض الآيات . . . !! فما أعظمه من اجتهاد !! وما أعظمه من فهم !! وما أعظمه من إعجاز !!

وهٰذا المجتهد المخلِّط يصدق عليه قول الشاعر :

فضاحكِ الشمس في السدياجي
وداعبِ البدر في المحاقِ
ولا تحققْ ولا تدقق
وانسبْ شآماً إلىٰ عراقِ
وقل كلاماً بغير معنىٰ
واحلفْ علىٰ الإفك بالطلاقِ
فأيُّ شخص كأيِّ شخص
بلا اختلاف ولا اتفاق

✍ ✍ ✍

سماع أصوات الموتىٰ في قبورهم ! !

قبل نحو أكثر من سنة ظهر الشيخ عبد المجيد الزنداني علىٰ الفضائيات ، ليُسمع الناس شريطاً ، يدعي أنه سجل في روسيا من بئر عميقة للنفط ، وأن الأصوات المخيفة التي تنبعث منه ـ وهي عويل وصراخ واستنجاد ـ ما هي إلا أصوات الموتىٰ الذين يعذبون في قبورهم ، ويَصْلَون حر النار !

وادعىٰ أيضاً أن هـٰذا الشريط المرعب ، كان قد سجل قبل نحو عشر سنوات ، وأن أحد الذين التقطوا هـٰذه الأصوات ، قد قتل غيلة لئلا ينشر هـٰذا الاكتشاف بين الناس حرصاً علىٰ الإلحاد واللادينية ، لأنَّ هـٰذه الحقائق التي حواها هـٰذا الشريط تنقض بنيان الإلحاد وتهدمه . . . إلىٰ أخر ما قال ! !

وانتشر هـٰذا الشريط بين الناس عامّهم وخاصّهم انتشار النار في الهشيم ؛ لأنَّ كثيراً من الخطباء والدعاة تحدث عنه ونبه عليه ، ولعل بعضهم صعد المنبر وبيده مسجل ليُسمع الناس الأصوات التي تتقطع لها القلوب رعباً وخوفاً . . . وإنما قصد هـٰؤلاء من ذٰلك تقرير عذاب القبر وتثبيته في عقول الناس وأفئدتهم . . . فيطمئن

التقي الصالح ، ويرعوي الشقي الطالح ... !!

وغفل هٰؤلاء جميعاً أن سماع ما يجري في القبور مستور عن الناس ومحجوب عنهم حجباً مطلقا ، ولا يتأتىٰ لأحد أن يطلع عليه ، ولن يغدو مسموعاً ومدركاً في يوم من الأيام .

ولعل قائلاً يقول مستفهماً أو مستنكراً : فيمَ هٰذا الإنكار ؟ وما سر هٰذه الحرب الشعواء علىٰ هٰذا الشريط ومروّجيه ؟

وها أنا ذا أجيب ـ عسىٰ المستفهم يزول استفهامه ، والمستنكر ينقلب استنكاره ـ فأقول :

إن الغيب المحجوب عن الناس قسمان :

الأول : الغيب النسبي : وهو الغيب الذي يكون غيباً بالنسبة لزمن دون زمن أو مكان دون آخر أو أشخاص دون غيرهم ... وهٰذا كثير جداً وأمثلته لا تكاد تحصىٰ ، فمن ذٰلك : النطفة أو الحُوين المنوي للرجل والبييضة للمرأة ، لم يكونا تحت الأنظار من قبل ؛ لأن العين المجردة لا تدركهما ؛ لأن للبصر عتبة يقف عندها كما أن للعقل حداً ينتهي إليه ، لٰكننا في العصر الحديث وبعد تطور العلوم ، استطعنا بوساطة المجاهر المكبرة والمقربة أن نراهما رأي العين لٰكن عن طريق غير مباشر .

إذن كان الحوين المنوي غيباً في الأزمان الغابرة ، لٰكنه غيب نسبي يختص بوقته المنصرم ، ثم غدا اليوم من المدركات المحسات .

الثاني : الغيب المطلق : وهو الغيب الذي حجبه الله تعالىٰ

عن الناس في كل زمان وكل مكان حجباً مطلقاً ، وحال بينهم وبين الاطلاع عليه ؛ لأنه تعالىٰ أراد ابتلاء الإنسان بالإيمان والتصديق به .

وهل الإيمان في أصله إلا تصديق بهٰذا الغيب ؛ لأنه ليس من المعقول في شيء أن يطلب ٱلله عز وجل من الإنسان أن يؤمن بوجود ما يراه ويدركه فلا أين مع العين كما قالوا .

وهٰذا الغيب المطلق الذي نتحدث عنه رأس الصفات التي يتحلىٰ بها المتقون ، لذٰلك قدم عليها كلها فقال تعالىٰ ﴿ ... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة : ٢ ـ ٣] .

هٰذا الغيب لا يمكن للناس أن يدركوه سواء أكان ذٰلك بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة كالاستعانة بالآلات التي اخترعها الإنسان أو سيخترعها في قادمات الأيام ، لهٰذا حاول بعض العلمانيين لكي لا يصادم مبادئ المادية تفسير كل الآيات التي وردت فيها كلمة الغيب تفسيراً مادياً فقال : « إن مفهوم الغيب والشهادة كما ورد في الكتاب هو مفهوم مادي بحت »[١] فالجنة والنار والملائكة والحساب هي أشياء قابلة للإدراك والحس إن لم يكن اليوم فغداً بفضل الاكتشافات العلمية فهو غيب نسبي آخذ بالتقلص لا محالة[٢] .

---

(١) (الكتاب والقرآن ؛ محمد شحرور ص : ٢٦٦) .

(٢) انظر : (المصدر السابق : ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

فلو سرنا على هٰذا النهج لأتىٰ يوم أصبح فيه ألله تعالىٰ والملائكة والجن وسائر ما هو غيب خاضعاً للتجربة والإدراك الحسي . . . !! [1] .

ومن هٰذا الغيب المطلق الذي ندندن حوله : عذاب القبر أو نعيمه ورؤية الملائكة أو الجنة والنار . . . والسر في هٰذا الحجب المطلق أنَّ الإنسان لو قدر علىٰ الاطلاع علىٰ هٰذه الغيبيات ، لانتهىٰ الابتلاء بالإيمان بها ، ولآمن الناس كلهم جميعاً ، كما يؤمنون عند سكرات الموت وقت يغدو عالمُ الغيب عالمَ شهادة ، فيؤمن المنكر الإيمانَ الاضطراري الذي لا ينفعه شروىٰ نقير ، ويرىٰ المؤمن ما آمن به من الغيب حقاً فيلتقي علم اليقين مع عين اليقين ثم حق اليقين . . .

هٰذه حقائق ثابتة وراسخة من أصول العقيدة الإسلامية ، ما كان ينبغي أن تفوت الشيخ عبد المجيد الزنداني ومَنْ تلقف كلامه دون تبصر ونظر .

ولا ريب أنَّ الشيخ الزنداني ليس أول سارٍ غَرَّه ضوء القمر .

✍ ✍ ✍

---

(١) انظر : (الحداثيون العرب والقرآن الكريم ؛ د . جيلاني مفتاح ص : ١٤١) .

المصادر المراجع

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تح : الدكتور مصطفىٰ البغا ـ دار ابن كثير بدمشق ط٢ ـ ١٩٩٣م .

٢ ـ أساس البلاغة ، للزمخشري ، دار الفكر ببيروت ـ ١٩٩٤م .

٣ ـ الإشارات العلمية في القرآن الكريم ، لمحمد وفا الأميري ، ط٣ ، ١٤٠١ هـ .

٤ ـ إعراب القرآن الكريم ، د . محمَّد الطيب الإبراهيم ، دار النفائس ببيروت ، ط٢ ـ ٢٠٠٢م .

٥ ـ أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك ، لابن هشام ، دار ابن كثير بدمشق ، ط١ ـ ٢٠٠٥م .

٦ ـ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ، طاهر الجزائري ، تح : عبد الفتاح أبي غدة ، ط٣ بيروت ١٤١٢ هـ .

٧ ـ تفسير ابن كثير ، (تفسير القرآن العظيم) دار الخير بدمشق ، ط١ ـ ٢٠٠٦م .

٨ ـ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم) نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت ط٤ ـ ١٩٩٤م .

٩ ـ تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر .

١٠ ـ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) دار الكتب العلمية ببيروت ط٤ ـ ٢٠٠٥م .

١١ ـ تفسير الفاتحة ، د . نور الدين عتر ـ دار البشائر ببيروت ـ ط١ ١٩٩٤م .

١٢ ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) نشر دار الفكر .

١٣ ـ التوحيد ، عبد المجيد الزنداني ، مكتبة التراث الإسلامي ط٣ .

١٤ ـ حاشية الشهاب الخفاجي علىٰ البيضاوي ،نشر المكتبة الإسلامية بتركيا .

١٥ ـ الحداثيون العرب والقرآن الكريم ، د . الجيلاني مفتاح ـ دار النهضة بدمشق ، ط١ ـ ٢٠٠٦ .

١٦ ـ الدر المصون ، للسمين الحلبي تح : د . أحمد الخراط ـ دار القلم بدمشق ، ط١ ـ ١٩٩٤م .

١٧ ـ روح المعاني للآلوسي ـ تصوير دار إحياء التراث ببيروت .

١٨ ـ الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس القزويني ، تح : عبد السلام هارون ـ ط الحلبي بمصر .

١٩ ـ القرآن محاولة لفهم عصري ، مصطفىٰ محمود ، دار المعارف بمصر ، ط٧ .

٢٠ ـ القرآن وقضايا الإنسان ، د . عائشة عبد الرحمٰن ـ دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٥ ـ ١٩٨٢م .

٢١ ـ القرآن والعلم الحديث ، لعبد الرزاق نوفل ، دار الكتاب العربي بالقاهرة .

٢٢ ـ الكتاب والقرآن ، محمد شحرور ـ الأهالي بدمشق ـ ط١ ـ ١٩٩٠م .

٢٣ ـ الكشّاف ، للزمخشري ـ دار المعرفة ببيروت .

٢٤ ـ كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، د . يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ـ ط١ ـ ٢٠٠١م .

٢٥ ـ مجلة عالم الفكر الكويتية ـ المجلد الثاني عشر ـ ١٩٨٢م .

٢٦ ـ المدخل لتفسير كتاب الله تعالىٰ ، للحدادي ـ تح : صفوان داوودي ـ دار القلم بدمشق ـ ١٩٨٨م .

٢٧ ـ معجم علوم القرآن الكريم ، إبراهيم الجرمي ـ دار القلم بدمشق ـ ط١ ـ ٢٠٠١م .

٢٨ ـ مع الطب في القرآن الكريم ، قزموز وزميله ، مؤسسة علوم القرآن .

٢٩ ـ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ـ تح : صفوان داوودي ـ دار القلم بدمشق ـ ط٢ ـ ١٩٩٧م .

٣٠ ـ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية بالقاهرة ـ ط١٧ ـ ١٩٩٣م .

٣١ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، د . محمد راتب النابلسي ـ دار المكتبي بدمشق ـ ٢٠٠٥م .

٣٢ ـ موقف العقل ، مصطفىٰ صبري ـ دار إحياء التراث ببيروت ـ ١٩٨١م .

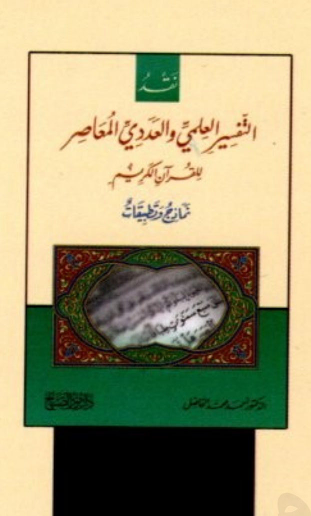
٣٣ ـ نهج الإسلام (مجلة وزارة الأوقاف السورية) .

فهـــرس الموضـــوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

✍ ✍ ✍



NOUR SSABAH
www.nourssabah.com